

## الحُمس من قبائل العرب

د. محمد ضاهر وتر

، والأحماس، والأحماس: جمع؛ ومفرده: الأحمس، وخمس الأمر حمسا.  
وللحمس معنيان:

### الحُمس

المعنى الأول: "المتشددون في الدين، إذ كانوا يقفون بـ(نمرة)، وباقي القبائل بـ(عرفة)، ويلتقون بـ(مزدلفة) للإفاضة<sup>(1)</sup>، ويطوفون حول البيت بملابسهم، ويطوف غيرهم عرباناً"<sup>(2)</sup>، لا اعتقادهم أن هذه الثياب قد اقترفت فيها الذنوب، وعصوا الله فيها، ويسمون تلك الثياب التي نزعوها بـ(اللقى)<sup>(3)</sup>، وينطبق نزع الثياب على الرجل والمرأة على السواء<sup>(4)</sup>، ويطوف المرأة وهي تقول:

اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله<sup>(5)</sup>

وقد جاء الإسلام فمنع طواف العري، وألزم كل من يطوف أن يلبس لباس الإحرام<sup>(6)</sup>. ومن مظاهر التشديد في الدين: أن الحمس يحرمون على أنفسهم أكل الطيبات من الرزق، فلا يذوقون السمن والزبد واللحم وغير ذلك، ولا يأكلون من نبات الحرم، إذا أرادوا الحج ماداموا حرماً. ولا يلبسون ما صنع من الوبر والشعر، فلا يغزلون، ولا ينسجون، وإنما كانوا يكتفون أن يجلسوا بظل الأدم. ولا يظلمون في معاملتهم مع غيرهم، ولا ينقضون الميثاق، ولا يخفرون الذمة ماداموا في الأشهر الحرم. التي كانوا يعظمونها ويتقيدون بحرماتها، وكانوا يقيمون في الحرم، ويرون في أنفسهم

(1) الأزرقي - أخبار مكة: 121/1 وما بعدها.

(2) ابن حبيب المحبر: 180 وما بعدها.

(3) الأزرقي - أخبار مكة: 111/1، الزمخشري - الكشاف: 60/2.

(4) صحيح مسلم: 162/8، ابن هشام - السيرة النبوية على هامش الروض: 133/1.

(5) الأزرقي - أخبار مكة: 117/1.

(6) الأزرقي - أخبار مكة: 111/1.

بأنهم طبقة الحُمس، فيقولون: نحن أهل الحرمة وولاية البيت وقطان مكة وسكانها، فليس لأحد من العرب مثل حقنا ولا مثل منزلتنا، ولا تعرف العرب مثل ما نعرف<sup>(1)</sup>. وإذا أرادوا متاعاً أو طعاماً من بيوتهم، فلا يدخلونها من أبوابها وإنما يأتون من ظهورها، ويحرمون المرور من الباب أو تجاوزه من الأسكفة، ويعملون أعمالاً لم تكن العرب تحرمه أو تمنعه عن نفسها<sup>(2)</sup>؛ وقد جاء الإسلام فأذكر عليهم ذلك، وصحح مسيرتهم، قال الله عز وجل: {وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنْ مِنَ اتَّقَى وَآتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا.....} (3).

وفي رواية أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: "كان الناس في الجاهلية وفي أول الإسلام إذا أحرم رجل منهم بالحج، فإن كان من أهل المدر — يعني أهل البيوت — نقب في ظهر بيته، فمنه يدخل ومنه يخرج، أو يضع سلماً فيصعد منه وينحدر عليه. وإن كان من أهل الوبر — يعني من أهل الخيام — يدخل من خلف الخيمة، إلا من كان من الحُمس<sup>(4)</sup>". وقال النبي صلى الله عليه وسلم لقطبة بن عامر الأنصاري زمن الحديبية: "إني أحمس"<sup>(5)</sup>، أي من القوم الذين لا يدينون بدين الحلة. وظلوا على هذا التشدد في الدين حتى بعد دخول الإسلام، فقد كان أحد الصحابة<sup>(6)</sup> قائماً في الشمس، نذر ألا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم، ولا يصوم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم حين رآه على هذه الحالة: "مُرُوهُ فَلْيَتَكَلَّمْ، وَلْيَسْتَظِلْ وَلْيَقْعِدْ وَلْيَتِمَّ صَوْمُهُ"<sup>(7)</sup>؛ وكان الحمس حتى بعد دخول الإسلام يقفون بالمزدلفة، ومن سواهم يقفون بعرفة، حتى أنزل الله تعالى: (... ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ...) (8)، وعائشة رضي الله عنها أكدت هذا المعنى في حديثها<sup>(9)</sup>.

المعنى الثاني: الشجاعة والمنع والمحاربة. وفي الحديث: "أما بنو فلان فمُسْكُ أحماس"<sup>(10)</sup>. أي شجعان؛ وفي حديث عرفة: "هذا من الحمس"<sup>(11)</sup>، أي من الشجعان. وقال ابن الأعرابي في قول عمرو "بِتَثْلِيثٍ مَا نَاصَيْتَ بَعْدِي الْأَحَامِسَا"<sup>(12)</sup>. أي الشجعان، وقال الزمخشري: "وقعوا في هند

(1) ابن هشام — السيرة النبوية على هامش الروض: 138/1.

(2) ابن قتيبة — المعاني الكبير: 998/2.

(3) سورة البقرة — الآية: 189.

(4) القرطبي — الجامع لأحكام القرآن: 720/1.

(5) ابن كثير — تفسيره — 327/1، السيوطي — الدر المنثور: 204/1.

(6) هذا الصحابي هو أبو إسرائيل من الأنصار، اختلف في اسمه راجع ابن الأثير — أسد الغابة: 126/5.

(7) أبو داود — الإيمان والنذور — ب: 22، ابن عبد البر — تمهيد: 65/2، السيوطي — الدر المنثور: 252/1، التبريزي

— مشكاة المصابيح: 3430.

(8) سورة البقرة — الآية: 199.

(9) روى الترمذي عن عائشة، وفي صحيح مسلم عن عائشة.

(10) ابن منظور — لسان العرب: 57/6، الزبيدي — تاج العروس: 132/4.

(11) ابن منظور — لسان العرب: 57/6.

(12) الزبيدي — تاج العروس: 132/4.



الأصل، ويعدون من ولدت، ويذكرون أمهاتهم<sup>(1)</sup>. وإذا عدنا إلى الروايات المتقدمة، والاختلاف فيما بين الأسماء لوجدنا القبائل التالية تتكرر في كل رواية، أو في أغلبها وهي: قريش، كنانة، جديلة، خزاعة، عامر بن صعصعة، ثقيف، خثعم، الحارث بن كعب، وهكذا يتبين أن الحمص أصلهم وأغلبهم من قريش، ومن الذين كانوا يسكنون حول الحرم، ومن الذين كانوا يحجون إلى البيت، ومن الذين ساروا على نهج قريش، ومن القبائل أو أحد بطون أو أفخاذ العرب المنتشرة في العربية الشمالية، ولا فرق أن تكون تلك الحمص منتسبة إلى العدنانية أو القحطانية، إنما يلاحظ إلى أهمية المكان فالكل كانوا قريبيين أو مجاورين لقريش والبيت الحرام.

## 1. - "قريش" -

تعتبر قريش زعيمة الحمص، وذلك للأسباب التالية:

1 - الكثرة : الكثيرة، إذ تضم قبائل عديدة، فقريش البطاح<sup>(2)</sup>، تتألف من قبائل منها، بنو عبد مناف، بنو عبد العزى، بنو عبد الدار، بنو زُهْرَة، بنو تَيْم، بنو مخزوم، بنو جمح، بنو سهم، بن وعدي، وقريش الظواهر<sup>(3)</sup>، تتألف من قبائل منها: الحارث، مالك، الحارث ومحارب ابنا فهر، تيم الأذرم بن غالب بن فهر، قيس بن فهر؛ ومن ولدت قريش، وقد سبق أن ذكرنا، وأهمهم مجد بنت تيم بن غالب بن فهر، وإياها عنى ليبد بن ربيعة بقوله:

سقى قومي بني مجد وأسقى  
نميراً والقبائل من هلال

والحارث ومدلج وعامر أولاد عبد مناة بن كنانة، ومالك وملكان، ابنا كنانة؛ وثقيف، وعدوان، ويربوع بن حنظلة، ومازن بن مالك بن عمرو بن تميم، وأمهما جندلة بنت فهر بن مالك النضر؛ ويقال: إن بني عامر كلهم حمص لتحمص إخوتهم من بني ربيعة بن عامر، وعلاف وهو ربان بن خلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، وخباب بن هبل بن عبد الله من كلب وأمه أمنة بنت ربيعة بن عامر بن صعصعة، وأمه مجد بنت تيم الأذرم بن غالب بن فهر<sup>(4)</sup>؛ وهكذا يتبين كثرة قريش في الحمص، حتى لتحسب أن الحمص كلهم منها.

2 - الكرم والسخاء: كان منهم هاشم بن عبد مناف الذي أطعم الطعام في سنين قحط، ونحر الجزر؛ وإليه يشير الشاعر ابن الزبيري:

عمرو الذي هشم الثريد لقومه  
ورجال مكة مسنتون عجاف<sup>(5)</sup>

(1) ابن حبيب - المحبر: 178، ابن دريد - الاشتقاق: 540، ابن عبد البر - إنباه: 87.

(2) ابن عبد البر - إنباه: 65 وما بعدها..

(3) ابن عبد ربه - العقد الفريد: 44/2 وما بعدها.

(4) ابن حبيب - المحبر: 178، ابن دريد - الاشتقاق: 540.

(5) الطبري - تاريخه: 252/2، ابن سعد - الطبقات: 76/1، الأزرقي - أخبار مكة: 67/1.

وهو الذي حفر الآبار<sup>(1)</sup>، فسقى قومه والحجاج، حتى سقاهم اللبن والعسل. وكانت قريش تتعاون فيما بينها، فتجمع الأموال لتشتري الطعام والشراب لتطعمه وتسقيه للحجاج<sup>(2)</sup>، ويقول الجاحظ: "وقروا الأضياف، ووصلوا الأرحام، وقاموا بنوائب زوار البيت. فكان أحدهم يحبس الحيسة في الأنطاع فيأكل منها القائم والقاعد والداخل والراكب، وأطعموا بدل الحيس الفالودج"<sup>(3)</sup>.

3 - المال والغنى: لقد كان لقريش أسواق ومواسم للبيع والشراء، وما الحج إلا موسم، وكانوا تجاراً، وأمنوا على العير بعقد الأحلاف مع العرب والروم وغيرهما، بحيث تروح القافلة وتغدو بسلام؛ ويظهر ذلك من قول العباس لأهل مكة عندما كانوا يعذبون أبا ذر الغفاري، فقال: "ويلكم! ألسنتم تعلمون أنه من غفار، وأنه من طريق تجارتكم إلى الشام؟"<sup>(4)</sup>، وإذا شئت فاقراً سورة قريش، فرحلة الشتاء إلى اليمن، ورحلة الصيف إلى الشام، والتي كانت تحتوي ألف بعير<sup>(5)</sup>؛ وقد كان في قريش أثرياء وأصحاب أموال كثير، منهم عبد الله بن جدعان، والعاص بن وائل بن هشام، وأبو العاص زوج بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصفوان بن أمية الذي كان يعدّ من قنطرة المال<sup>(6)</sup>، كما يقال اليوم (ملياردير) أو (مليونير) لصاحب الأموال الكثيرة..

4 - النسب والصهر: كانت قريش إذا زوجت بناتها إلى قبائل أخرى تشترط أن أبناءهن من الحمس؛ أما إذا تزوج رجال قريش بناء من باقي القبائل، فلم يشترطوا أي شرط على أنفسهم، وإنما صارت قرابة في النسب والصهر بهذه العملية، وقد أمنت على نفسها، وكسبت ودّ ذلك البطن أو الحي أو العشيرة، مثل: عامر بن صعصعة، وثقيف، وخزاعة، والحارث بن كعب<sup>(7)</sup>، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتألف العرب بالزواج من نساء بعض القبائل.

5 - النسب العدناني. فالعدنانية أفضل من القحطانية، ومضر أفضل من ربيعة، وقريش أفضل العرب، وبنو هاشم أفضل قريش، ومن بني هاشم الرسول العربي محمد صلى الله عليه وسلم، وقد اتبع عمرو بن الخطاب رضي الله عنه هذا التسلسل عندما دون الدواوين وأعطى الأعطيات<sup>(8)</sup>؛ وهذا النسب زاد قريشاً قوة إلى قوتها، وجعلها تتبوأ مكان الصدارة بين القبائل العربية، وبين الحمس. أما القبائل الحمس الأخرى، فجميعها تتبع إلى قريش، التي كانت تجذب بأسلوبها الديني هؤلاء

(1) الأزرقي - أخبار مكة: 67/1.

(2) الأصفهاني - الأغاني - طبعة الساسي: 31/4-34 وما بعدها.

(3) النيعتوي - البلدان: 468.

(4) ابن حجر - الإصابة: 64/4 رقم الترجمة (382).

(5) الطبري - تاريخه: 622/2.

(6) ابن حجر - الإصابة: 181/2، الزبيدي - تاج العروس: 509/3 (قنطر).

(7) ابن الفقيه - البلدان: 18.

(8) البلاذري - فتوح البلدان: 549، ابن أبي الحديد - شرح البلاغة: 113/3، ابن منظور - لسان العرب: 57/6.

جميعاً، إذ كانت تعبد أصنامهم، وتطلب منهم جمع هذه الأصنام في البيت وضمها<sup>(1)</sup>؛ مما جعل هذه القبائل تسعى في موسم الحج، وفي غيره أن تغد إلى الكعبة التي كانت قريش تسيطر عليها، مما زاد في تفوقها الاقتصادي والديني.

## 2 - "كنانة"

تلك القبيلة الثانية بعد قريش، وهي من الحمص، فإذا ما تقصينا مظاهر شدتها في الدين، وفي الشجاعة، كان لزاماً علينا أن ندرس هاتين الظاهرتين.

كنانة من القبائل العربية التي عبدت القمر<sup>(2)</sup>، وصاحبت قريشاً<sup>(3)</sup> بالمثل وبالتبادل، وهم الذين كانوا من المعنيين في الدين، ومن النساء، وكانوا يسمون: (القلامسة)<sup>(4)</sup> نسبة إلى القلمس الكناني أحد نساء الشهور<sup>(5)</sup>، وكانوا يعظمون صنم العزى مع غيرهم من الحمص من قريش وخزاعة ومضر<sup>(6)</sup>، وغطفان وجشم ونصر وغيرهم<sup>(7)</sup>، ولما أرادت بعض القبائل أن تبني بيتاً وتطوف حوله، وتسعى بين حجرين بناهما ظالم بن أسعد ليستعيض بهما عن الكعبة وعن الصفا والمروة، كان ذلك مما أثار حفيظة زهير بن جناب بن هبل بن عبد الله بن كنانة الكلبي، فأغار على قبيلة غطفان فقتل ظالماً<sup>(8)</sup>؛ لكي يحافظ على وحدة الحمص وعلى وحدة الدين، ثم هدم البناء؛ كما كانت كنانة تعبد (مناة) لكثرة تسميتها: (مناة) وكانت بعض القبائل تشارك في عبادته<sup>(9)</sup>، وهبل، واللات والأصنام الأخرى التي كانت تعبد بها قريش<sup>(10)</sup>، وسواء الذي كان لكنانة<sup>(11)</sup>، ويعوق<sup>(12)</sup> وسعد الذي كان صخرة كبيرة<sup>(13)</sup> وكانوا إذا أرادوا حج البيت الحرام لبوا، وكانت تلييتهم تختلف عن القبائل الخمس حتى عن تلبية قريش، فيقولون: لبيك اللهم لبيك، اليوم يوم التعريف، يوم الدعاء والوقوف<sup>(14)</sup>، ومن هنا يتبين

(1) ابن حبيب - المحير: 318، اليعقوبي - البلدان: 442/7 وما بعدها.

(2) الألويسي - بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب: 240/2، ابن حبيب - المحير: 318.

(3) ابن حبيب - المحير: 318.

(4) ابن حبيب - المحير: 156، 181.

(5) الزبيدي - تاج العروس: 402/9.

(6) الأزرقى - أخبار مكة: 74/1 وما بعدها.

(7) الكلبي - الأصنام: 18 وما بعدها.

(8) الأصفهاني - الأغاني: 63/21، الزبيدي - تاج العروس: 109/4، اليعقوبي - البلدان: 179/2.

(9) الزبيدي - تاج العروس: 351/10، و R. S. 2.

(10) اليعقوبي - البلدان: 442/7، ابن حبيب - المحير: 318.

(11) اليعقوبي - البلدان: 225/1، ابن حبيب - المحير: 316.

(12) اللسان - طبعة صادر: 281/10، الزبيدي - تاج العروس: 29/7.

(13) الكلبي - الأصنام: 36 وما بعدها، اليعقوبي - البلدان: 225/1.

(14) اليعقوبي - البلدان: 225/1.

لنا شدة بني كنانة في دينهم، فلقد عبدوا عدة أصنام لاعتقادهم أن كثرة الأصنام تقربهم إلى الله، وأنهم هم وغيرهم قد تعجبوا عندما دعا رسول الله إلى عبادة إله واحد.

هذا في الدين أما الشدة في الشجاعة، فقد كانت كنانة بدوية أعرابية، شديدة المعاملة مع غيرها، طبيعتها القتال، وصفتها التنافر والتشاحن، وبدا عليهم الإقدام والحزم، وكان يعد الرجل منهم بعشرة من غيرهم، وكان فارسهم ربيعة بن مكرم الذي اشتهر بالشجاعة، وحمى ظعنه بعد مقتله، فقد قاتل والدم ينزف منه<sup>(1)</sup>، وكان يُعقر على قبره<sup>(2)</sup>، ولم يُعقر على قبر أحد غيره، ووقعت بين كنانة وقيس أيام منها: يوم الكديد، ويوم برزة، وحروب الفجار<sup>(3)</sup>، وكان بين كنانة وهوازن يوم انتصرت فيه هوازن، وعلى كنانة حرب بين أمية من قريش<sup>(4)</sup>، ثم انتصرت كنانة ومعها قريش على هوازن في يوم عكاظ<sup>(5)</sup>، وقد أسر بنو فراس من بني كنانة دريد بن الصمة المشهور بشجاعته وفك أسره امرأة ربيعة بن مكرم<sup>(6)</sup>؛ وقاد صخر بن حرب (أبو سفيان) قريشاً وكنانة يوم أحد ويوم الخندق<sup>(7)</sup>، ومما سبق يلاحظ أن كنانة من أشد القبائل العربية، وأشجعها في القتال، حتى لتلاحظ أن ربيعة بن مكرم كان قد أصيب، ومع إصابته، فقد حقق مهمته القتالية، إذ حمى ظعنه، بعد مماته، كما نرى أن كنانة هي حلف لقريش، وهما من الحمس.

### 3 - جديلة

هي ليست من قبائل الحمس؛ وقد عبت (البعوب) وكان لها صنم أخذته منها بنو أسد، فقتلوا هذا الصنم بعده<sup>(8)</sup>، وهي من طيء، أما الذي نعنيها والتي هي من الحمس، والتي ورد ذكرها عند الزبيدي فهي جديلة قيس<sup>(9)</sup>، وهي من العنانية نسبوا إلى أهم جديلة بنت مر بن أد، أخت تميم بن مر<sup>(10)</sup>، وسميت بهذا الاسم لتشددها في الدين، ولشجاعته فلا تطاق<sup>(11)</sup>، وسميت عدة قبائل وبطون عربية باسم جديلة؛ منها: جديلة التي هي من الحمس، وجديلة وهي من الخزرج، وجديلة وهي بطن من أسد<sup>(12)</sup>..

(1) الألويسي - بلوغ الأرب: 144/1، سبط الآلي: 910.

(2) القالي - الأمالي: 271/2، النويري - نهاية الأرب: 373/15.

(3) ابن عبد ربه - العقد الفريد: 101/6 - وما بعدها - ابن رشيقي - العمدة: 218/2 وما بعدها..

(4) النويري - نهاية الأرب: 427/15، ابن عبد ربه - العقد الفريد: 106/6.

(5) جاد المولى - أيام العرب: 334 وما بعدها.

(6) ابن حبيب - المحرر: 245/2، الألويسي - بلوغ الأرب: 134/2، النعالي - مزار القلوب.

(7) ابن حبيب - المحرر: 216 وما بعدها.

(8) الكلبي - الأصنام: 39.

(9) الزبيدي - تاج العروس: 132/4.

(10) الحسوي - معجم البلدان: 42/2، الطبري - تاريخه: 192/4، 194.

(11) ابن سعد - الطبقات: 72/1، الزبيدي - تاج العروس: 132/4 (حمس).

(12) ابن عبد ربه - العقد الفريد: 74/2، ابن خلدون - تاريخه: 300/2.

#### 4 - خزاعة

كانت تُند بناتها بدافع ديني، تتشدد على نفسها، بتقديم قرابين بشرية إلى الآلهة التي كانوا يعبدونها، وهي عبادة قديمة معروفة عند أمم الأرض<sup>(1)</sup>؛ وقد عبدت خزاعة (الشعري) مخالفة بذلك القبائل العربية التي كانت تعبد الأصنام، والشعري نجم وقاد يقال له (المرزم)<sup>(2)</sup> وكان أبو كبشة الخزاعي هو أول الذين عبدوا هذا النجم<sup>(3)</sup>؛ وقد ورد ذكره في القرآن، قال الله - عزّ وجلّ -: (وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى)<sup>(4)</sup>. وكان عمرو بن لحي الخزاعي هو الذي أسس الأصنام في مكة مثل اللات وإساف ونائلة وأكثر منها<sup>(5)</sup>. وغير تلبية إبراهيم عليه السلام. وكان الخزاعيون إذا أرادوا القتال ينصبون (اللات) في ساحة الاجتماع لتشجيع المقاتلين، ولبذل دمائهم، ولاستماتتهم في القتال<sup>(6)</sup>. كذلك كان غير الخزاعيين يحملون معهم أصنامهم، وكانوا يعبدون أيضاً بيتاً بالمشلل<sup>(7)</sup>. ومناة الذي كانوا يعظمونه ويهلون منه للحج إلى الكعبة<sup>(8)</sup>. وإساف ونائلة للذين مسخا حجرين<sup>(9)</sup>. ونهماً وقد سمي من خزاعة به (عبد نهم)<sup>(10)</sup>. وكانوا يقيمون المذابح ويقربون القرابين للآلهة<sup>(11)</sup>. وقد بلغت الأصنام التي كانت في الكعبة (360) صنماً من الحجارة، أو النحاس، أو القوارير، وكانت أصنام خزاعة مصنوعة من قوارير صفر<sup>(12)</sup>. ولما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فاتحاً حطم هذه الأصنام جميعاً: "وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً. فجعل يطعن بها بعدد كان بيده، ويقول: جاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقاً".<sup>(13)</sup> وقد توسعت خزاعة في عبادتها حتى عبد قسم منهم الجن وهم بنو مليح رهط طلحة الطلحات<sup>(14)</sup>.

- Ency. Relig. I.P. 669 , Smith, Hinchip, p. 370. (1)  
 (2) القرطبي — تفسيره: 45/27، الزبيدي — تاج العروس: 341/4.  
 (3) الزبيدي — نسب قریش: 261 وما بعدها، ابن حبيب — المحرر: 129.  
 (4) سورة النجم — الآية: 49، الزبيدي — تاج العروس: 305/3 (شعر).  
 (5) المسعودي — مروج الذهب: 303/2، الأزرقي — أخبار مكة: 126/1، وما بعدها، ابن هشام — السيرة النبوية: 179/ وما بعدها.  
 (6) اليعقوبي — البلدان: 165/6، الكلبي — الأضنام: 17 وما بعدها، تفسير الطبري — طبعة طهران: 175/27.  
 (7) الطبري — البلدان: 169/8، ابن كثير — تفسيره: 253/4.  
 (8) اليعقوبي — البلدان: 169/8، ابن كثير — تفسيره: 253/4.  
 (9) الأزرقي — أخبار مكة: 70/1، ابن حبيب — المحرر: 311.  
 (10) الكلبي — الأضنام: 39 وما بعدها: Reste S. 58.  
 (11) الطبري — تفسيره: 48/6.  
 (12) السيرة الحلبية: 144/1، ابن الأثير — الكامل في التاريخ: 105/2.  
 (13) صحيح مسلم: 73/5.  
 (14) الكلبي — الأضنام: 34، ابن دريد الاشتقاق: 276.



ومن مظاهر شجاعة خزاعة وشدةها، أنها أخرجت قبيلة جرهم من مكة، وعبدت (الشعري) إذ تفردت بعبادته، وكانت تصحب معها بعض الأصنام إلى ساحات القتال، وتتطيب بطيب (منشم) إذا أرادت القتال مع جرهم أو غيرها لتكون شديدة في قتالها، ومستمينة في حربها<sup>(1)</sup>، وحاربت قريش واحتكمت إلى يعمر بن عوف الشذآخ الكناني، فحكم لقريش بأنها أولى بالكعبة من خزاعة<sup>(2)</sup>، وكان بنو المصطلق من خزاعة والحيا من حلف الأحابيش<sup>(3)</sup>، والحلف قوة وشدة، وحالفت أيضاً طيئاً وبني فزارة<sup>(4)</sup>، واشتهر قيس بن الحداية من الشعراء الخزاعيين الصعاليك بشدته حتى خلعت خزاعة<sup>(5)</sup>، كما تحالفت فيما بعد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ضد قريش<sup>(6)</sup> التي أخرجتها من مكة، ولم يبق منها سوى العدد القليل؛ عدد بطونها وكثرتها يدل على شدتها منهم: بنو المصطلق بنو عدي بن عمرو، بنو الحيا، بنو مليح بن عمرو، بنو عوف بن عمرو...، واقتتل مع قيس، وأظهرها شدتها وهزمت قيس<sup>(7)</sup>، ومع بني أسد، ومع بني بكر بن عبد مناة ومع غيرهم<sup>(8)</sup>.

## 5 - "عامر بن صعصعة"

كان بنو عامر من المتشددین في الدين، وكانوا كغيرهم من العرب يعبدون الأصنام، وكانوا من سدنة خزاعة، والسدانة تنتقل بالوراثة من الآباء إلى الأبناء، وإذا ما حاولت إحدى القبائل أن تنتزع السدانة من قبيلة أخرى قامت بينهما معارك وحروب، حتى تستولي الواحدة على السدانة بالقوة، فكان بنو عامر سدنة صنم (ذا اللبا) الذي يتولون أمره<sup>(9)</sup>، وهم أول من كسا البيت<sup>(10)</sup>.

بنو عامر مقاتلون، فهم من معركة إلى معركة، ومن يوم إلى يوم فكانت أيامهم منها: يوم (النسار) مع سعد والرياب، ويوم (الفلج الأول) مع بني حنيفة، ويوم (الفلج الثاني) مع بني حنيفة أيضاً، فانتصروا في الأول، وهزموا في الثاني؛ ويوم (النشاش) مع أهل اليمامة؛ ويوم (شعب جبلة) مع تميم وعبس وذبيان وفزارة، وكان النصر لبني عامر؛ ويوم (رحرحان الأول) مع بني دارم، ويوم (رحرحان) الثاني مع بني تميم؛ ويوم (أخرب) مع بني نهد؛ ويوم (مزلق) مع سعد تميم؛ ويوم

(1) اللسان: 279/7، الزبيدي — تاج العروس: 76/9، (نشم).

(2) الألويسي — بلوغ الأرب: 330/1، ابن حبيب — المحرر: 133 ومابعدها، ابن هشام — السيرة النبوية: 79.

(3) البلاذري، أنساب الأشراف: 52/1، 76، ابن حبيب — المحرر: 246.

(4) اللسان: 401/10.

(5) الأصفهاني، الأغاني: 2/13.

(6) الإنباه: 95، أبو الفداء — تاريخه: 101/1 ومابعدها.

(7) الأصفهاني، الأغاني — طبعة الساسي: 3/13.

(8) الحمداي — صفة جزيرة العرب: 120 ومابعدها، حمزة — قلب جزيرة العرب: 231 ومابعدها.

(9) ابن حبيب — المحرر: 316 ومابعدها.

(10) ابن حجر — الإصابة: 263/2، الزبيدي — نسب قريش: 18.

(ذي نجب) مع بني تميم؛ ويوم (الوتدة) مع بني تميم، ويوم (خزاز)؛ وغير ذلك من الأيام والوقعات الحربية؛ إذ كانوا في أكثر وقعاتهم ينتصرون<sup>(1)</sup>، وكان عامر بن الطفيل العامري من فرسان العرب المشهورين، وقد افتخر في شعره بفروسيته<sup>(2)</sup>؛ ومن شعرائهم وفرسانهم أيضاً خدّاش بن زهير بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وهو فارس (الضحياء)<sup>(3)</sup> الفرس التي ذاع صيتها.

## 6 - "تقيف"

تقيف من القبائل العربية الشمالية التي اعتبرت الأصنام مصدراً من مصادر الروح المعنوية، إذ كانوا يستمدون منها القوة والعون والمساعدة في الحروب والغزوات، وكانوا يحملونها معهم في الحرب والسلام، وإذا وقعت في الأسر، فإن ذلك نكسة وعار على الذين يعبدونها، فلا يهدأ لهم بال حتى يردوها؛ كما يعتبرون أن الأصنام هي التي تذب عن القبيلة، وتدافع عنها، ويستشفون بها من الأمراض التي تصيب الأفراد أو الجماعات.

كان لتقيف صخرة بالطائف تتعبد لها، يطلق عليها: (الرتبة) وبيت لها يطلق عليه (بيت الربة)<sup>(4)</sup>، تضاهي به بيت الله بمكة، وكانوا يطوفون حوله، وبقي هذا البيت حتى بعد ظهور الإسلام، فلما أسلموا، ذهب المغيرة بن شعبة التقيف فهدمه؛ وكان لهم (اللات) وهو صنم؛ وهو اسم شخص من تقيف مات، فأمر عمرو بن لحي ببناء له وسمي بهذا الاسم<sup>(5)</sup>، وكان مسعود التقيف وهو من سادات تقيف من سدنة اللات<sup>(6)</sup>؛ وكانوا إذا قدموا من حرب أو سفر أو أمر عظيم ذهبوا إليه فتنبركوا به، ثم عادوا إلى بيوتهم، وكانت غير تقيف من القبائل تأتيه فتنبرك به<sup>(7)</sup>؛ ولما هزمت تقيف، والتجأت إلى الطائف. قال الشاعر:

وفرت تقيف إلى لاتها  
بمنقلب الخائب الخاسر.<sup>(8)</sup>

ولما هدمت اللات، وحرقت قال شداد بن عارض الحبشي:

(1) الحموي - معجم البلدان: 160/1 - 528 - 24/2 - 295/3 - 586 - 731/4 - 783 - الزرقاني - شرح

المواهب اللدنية: 14 - 12/4 - ابن خلدون - تاريخه: 310/2 - 530/3 - 11/6 - ابن رشيق - العمدة: 2/

161 - اليعقوبي - البلدان: 184/1 - 428/3 - نهاية الأرب: 350/15 - الميدان - مجمع الأمثال: 108/2.

(2) الجاحظ - الحيوان: 95/2 - البغدادي - خزائن الأدب: 471/1 - 474.

(3) ابن حزم - جمهرة أنساب العرب: 107، الجمحي - طبقات فحول الشعراء: 119.

(4) اللسان: 399/1 وما بعدها (رب).

(5) اليعقوبي - البلدان: 310/7. (اللات) وقيل غير ذلك انظر اللسان (رب).

(6) المشرق - السنة: 1938م - الجزء الأول: ص 7 وما بعدها.

(7) الكلبي - الأصنام: 16: ابن حبيب: المحر: 315، سبائك الذهب: 104، فتح الباري: 235/1، 253.

(8) الأصفهاني: الأغاني: 80/19.

لا تنصروا اللات إن الله مهلكها  
وكيف نصركم من ليس ينتصر؟  
إن التي حرقت بالنار فاشتعلت  
ولم تقا تلدى أحجارها، هدر  
إن الرسول متى ينزل بساحتكم  
يظن، وليس بها من أهلها بشر<sup>(1)</sup>

وعبدت ثقيف أيضاً العزى ومناة، وكانوا إذا انتهوا من حجهم جاؤوا إليها فحلقوا، وكانوا يعتقدون أن الحج لا يتم إلا في زيارتها وتعظيمها والذبح لها<sup>(2)</sup>، وكانت تلبية ثقيف بالحج: "لبيك اللهم إن ثقيفاً قد أتوك، وأخلفوا المال وقد رجوك"<sup>(3)</sup>. والتلبية وبقيت من شعائر الإسلام، مع تغيير صيغتها مع ما يتفق مع الدين الإسلامي، فصارت: "لبيك اللهم لبيك، لا شريك لك لبك، إن الحمد والنعمة لك، والملك لا شريك لك"<sup>(4)</sup>. وكان من زعماء ثقيف والمتشددين بالدين أمية بن أبي الصلت الثقفي الذي كان على دين الحنفية ويأمل أن تكون النبوة في شخصه، فلا أسلم، ولا بقي على دين قومه، ومات كافراً<sup>(5)</sup>، "وكان بعض العلماء يقولون: لولا النبي صلى الله عليه وسلم، لمدعت ثقيف أن أمية نبي، لأنه قد دارس النصارى وقرأ معهم، ودارس اليهود، وكل الكتب قرأ"<sup>(6)</sup>.

ومن مظاهر شدتها في القتال أنها قاتلت قبيلة (خثعم) حين غزتها، وهزمتها شر هزيمة<sup>(7)</sup>، وخالد بن هودة يوم وَجّ، وبني عامر بن ربيعة وأحلافهم، وانتصرت على بني عامر والأحلاف<sup>(8)</sup>، ومع جيش المسلمين يوم حنين، فهزمت<sup>(9)</sup>.

وانسحبت إلى الطائف، واتخذت مواقع دفاعية دلت على شجاعتها، قذفت ثقيف عليهم سلكاً من حديد محصاة بالفلز، ثم رمتهم بالنبل، وانسحب المسلمون دون أن ينالوا منها<sup>(10)</sup>؛ وقد اشتهرت أسلحة ثقيف بشدتها ومضائها مثل سيف (مشرف) وينسب إلى رجل من ثقيف<sup>(11)</sup>، والدرع (المشرفية)<sup>(12)</sup>، والتحصينات التي كانت منيعة حول الطائف التي منها إقامة الأسوار، وإنشاء الأبراج والأطام وغير

<sup>(1)</sup> الكلبي - الأضنام: 11، ابن حجر: الإصابة: 139/2، رقم الترجمة: (3852).

<sup>(2)</sup> الزمخشري - الكشاف: 144/3، ومابعدا، الأزرقى - أخبار مكة: 73/1.

<sup>(3)</sup> اليعقوبي - البلدان: 225/1، ومابعدا.

<sup>(4)</sup> البخاري - الحج: 31، عمدة القارئ: 172/9، إرشاد الساري: 197/3.

<sup>(5)</sup> الخشني - شرح السيرة النبوية تحقيق بولس بروفة: 23-24/1، النووي - تهذيب الأسماء: 126/1.

<sup>(6)</sup> ابن دريد - الاشتقاق: 184.

<sup>(7)</sup> ابن خلدون - تاريخه: 309/2، ومابعدا، الأصفهاني - الأغاني - طبعة الساسي: 45/12.

<sup>(8)</sup> الأصفهاني - الأغاني: 44/12، البكري - معجم ما استعجم: 77/1، ومابعدا.

<sup>(9)</sup> الزرقاني - شرح المواهب اللدنة: 32/3، ومابعدا.

<sup>(10)</sup> الطبري - تاريخه: 83/3، ومابعدا.

<sup>(11)</sup> بلوغ الأرب: 62/2، ومابعدا، ديوان ابن مقبل: 7.

<sup>(12)</sup> المعاني الكبير: 1035/2، ومابعدا.

ذلك، وقد تحصنت بها تقيف يوم انسحابها من حنين<sup>(1)</sup>. وكان الشعر من الأشياء المحرصة على الشدة، وعلى القتال بضراوة. ومن شعراء تقيف، الأجرد<sup>(2)</sup>. وأمىة بن أبى الصلت ووالده، وغيلان بن سلمة، وكنانة بن عبد ياليل، وأبو محجن النقي، ورقية زوجة أبى الصلت والد أمىة<sup>(3)</sup>، وعوف بن عامر بن حسان الكاهن، ومسعود بن معتب وعروة ابنه الذي قتل عندما دعا قومه للإسلام<sup>(4)</sup>، ورغم كثرة شعراء تقيف، فإنهم لم يشتهروا إلا ماكان من أمىة بن أبى الصلت، وقد علل ابن سلام هذه الظاهرة بقلة الحروب بين الطائف وغيرها<sup>(5)</sup>. وأعتقد أن السبب — ليس لقلة الحروب، — وإنما — لأن بنى تقيف وأهل الطائف كانوا مهتمين بالزراعة والتجارة، وهم من أصحاب الثروة، كما كانوا مجاورين لقريش التي لم تكثر الشعر أيضاً للسبب نفسه.

## 7 - خثعم

كان بنو خثعم من قبائل الحمص متشددين في دينهم؛ إذ كانوا يعبدون (ذا الخلصة) ويدعى (كعبة) أيضاً، وكان بيت (ذي الخلصة) يقصده الناس للاستقسام بالأزلام، وكان له ثلاثة أقداح: الأمر، الناهي، والمتربص<sup>(6)</sup>، وقد أحرق عند ظهور الإسلام، فقاتلت دونه خثعم، وقُتل منهم عدد كبير، ورثت البيت امرأة من خثعم فقالت:

وبنو أمامة بالولية صرعوا  
ثملاً يعالج كلهم أنبو با<sup>(7)</sup>

أي كان اسم الصنم أيضاً (الولية) أي بالتأنيث، وكانت خثعم تحج إليه وإلى البيت الحرام، إلا أنها لا ترعى حرمة للحرم وللأشهر الحرم<sup>(8)</sup>، لكي تبتز من قريش بعض الأموال إذ كان هاشم قد ضرب على بعض رؤساء القبائل ضرائب لكي يؤديها إلى خثعم وغيرها<sup>(9)</sup>؛ فإذا صحت هذه الرواية، فإن بنى خثعم لم يكونوا من الحمص كما ذكر ابن حبيب عندما عدّ القبائل الحلة<sup>(10)</sup>؛ وكذلك ابن مسعود فقال: "إن الحمص هم: قريش، كنانة، خزاعة، ومن ولدته قريش من سائر العرب"<sup>(11)</sup>.

<sup>(1)</sup> الطبري — تاريخه: 83/3 ومابعدها، ابن هشام — السيرة النبوية: 127/4 ومابعدها.

<sup>(2)</sup> ابن قتيبة — الشعر والشعراء: 620/2.

<sup>(3)</sup> ابن سلام — الطبقات: 66، ابن قتيبة — الشعر والشعراء: 369/1.

<sup>(4)</sup> المرزباني — معجم الشعراء: 125، 283.

<sup>(5)</sup> ابن سلام — الطبقات: 65 ومابعدها.

<sup>(6)</sup> الكلبي — الأصنام: 29/22.

<sup>(7)</sup> الكلبي — الأصنام: 23، السهيلي — الروض الأنف: 65/1-66.

<sup>(8)</sup> الجاحظ — الحيوان: 216/7، النجومي — أيمان العرب: 12.

<sup>(9)</sup> ابن سلام — الطبقات: 61، المرزوقي — الأزمنة والأمكنة: 166/2، النفاضة: 617/2.

<sup>(10)</sup> ابن حبيب — المحبر: 179، اليعقوبي — البلدان: 226/1.

<sup>(11)</sup> ابن هشام — السيرة النبوية: 212/1، ابن قتيبة — المعارف: 269، المعاني: 989.

وقد كان الكهان منتشرين في بلاد العرب، يحكمون بين الناس، وتكون أحكامهم نهائية بين المتخاصمين، وكانت خثعم تحتكم إلى كاهنة عرفت بـ(فاطمة).<sup>(1)</sup>

ومن مظاهر شدتهم في القتال أنهم قاتلوا غيرهم من القبائل العربية، وكان يقود خثعم أنس بن مدرك الخثعمي، وهو شاعر وفارس وسيد قومه في الجاهلية، وأدرك الإسلام، فأسلم<sup>(2)</sup>، وكانوا يتحالفون مع غيرهم، وإذا تحالفوا - وهو دليل شدة - غمسوا أيديهم في دم جزور<sup>(3)</sup>، ومن هنا أطلق عليهم (خثعم)، عندها يقاتلون فلا يولون الأدبار، ويثبتون ولو كان عدوهم زحفاً.

## 8 - الحارث بن كعب

كان بنو الحارث يعبدون صنم (يغوث) إذ كان الأنعم بن عمرو المرادي، فقاتلهم عليه بنو غطفان من مراد، فنقلوه من أكمة مذحج باليمن إلى نجران، وأودعوه عند بني الناز من الضباب من بني الحارث بن كعب، ولما صار الصنم تحت تصرف بني الحارث، أبوا أن يسلموه إلى مراد فاقتتلوا عليه وكان يوم مشهود سمي بـ(يوم الرزم) انتصر فيه بنو الحارث على مراد، وبقي الصنم في بني الحارث<sup>(4)</sup>. وكما قاتلوا من أجل الصنم، فإنهم انضموا إلى بني مذحج وهمدان وكندة، حتى بلغ الجيش اثني عشر ألف مقاتل أغلب قادته من بني الحارث ومعهم عبد يغوث الحارثي ضد بني سعد والرياب، فإنهم في يوم (جز الدوابر)<sup>(5)</sup> قاتلوا من أجل المغنم والانتقام؛ وكانت النتيجة أن أسر عبد يغوث بن وقاص الحارثي، وقتل خمسة معه من أشراف اليمن وقتلت الرياب، سيد بني الحارث، وانتصر بنو تميم، وأما (الكلاب الأول)<sup>(6)</sup> فكان لسلمة بن الحارث، على أخيه شرحبيل بن الحارث؛ وهكذا كانوا من يوم إلى يوم ومن تحالف إلى تحالف؛ فالحرب والقتال يثير مشاعر الشعراء، فقد كان من شعرائهم: عبد يغوث بن وقاص، واللجلاج الحارثي وهو طفيل بن زيد بن عبد يغوث، وأخوه مسهر، وجعفر بن عليّ الحارثي الشاعر الصعلوكي<sup>(7)</sup>، وكانوا جميعاً يجمعون بين الفروسية والشعر، ولهم دور كبير في تحرير الرجال، وبعث الروح المعنوية في نفوس المقاتلين.

لقد تشددت تلك القبائل الأنفة الذكر في دينها وشجاعتها، وكانت قريش أول المتشددين، استطاعت بقوتها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والدينية، أن تجمع هؤلاء تحت سيطرتها

(1) البلاذري - أنساب الأشراف: 79/1.

(2) ابن حجر - الإصابة: 73/1. البغدادي - خزانة الأدب: 366/3.

(3) المفصليات: 705.

(4) الكلبي - الأصنام: 10، 57، ابن حبيب - المحرر: 179، الطبرسي - تفسيره: 364/5، اليعقوبي - البلدان: 511/8.

(5) ابن عبد ربه - العقد الفريد: 225/5، 78/6 وما بعدها، النقاظ: 425/1، 1075/2.

(6) ابن رشيق - العمدة: 206/2.

(7) الخزائن (طبعة بولاق): 317/1، ابن دريد - الاشتقاق: 239/2.

وقبضتها، حتى إذا جاء الإسلام كانت مهيأة للزعامة وكان منها الرسول العربي الذي قاد العرب كلهم من عدنانيين وقحطانيين، وشماليين وجنوبيين، وحمس وغير حمس.

إن التشدد في الدين في قبائل الحمس، قاد إلى الشجاعة في القتال، فقد ظهر منهم فوارس وشجعان قادوا قبائلهم إلى النصر والعزة والكرامة منهم: ربيعة بن مكرم<sup>(1)</sup> من كنانة، وصخر بن حرب<sup>(2)</sup>، (أبو سفيان) من قريش، وأنس بن مدرك<sup>(3)</sup> من خثعم، وعبد يغوث بن وقاص<sup>(4)</sup> من قبيلة الحارث بن كعب وغيرهم..

وكأنني أرى أن الفروسية مقترنة بالشعر، فإن أغلب زعماء القبائل الشجعان<sup>(5)</sup> الذين قادوا قبائلهم كانوا شعراء، أولئك الذين يبعثون في المقاتلين الروح المعنوية، فيستमित المقاتل ولا يرجع مهما وجد من صعوبات أمامه، أو كثرة من الرجال المعادين، ولا أجد للخطابة في هذه القبائل أثراً، ذلك لأن الشعر في هذا المقام أقوى من الخطابة، وأحد من السيف؛ كما كانوا يغمسون أيديهم بالدم، أو يلعبون، أو يطيبون<sup>(6)</sup>، كمثل خثعم الذين غمسوا أيديهم في دم جزور<sup>(7)</sup>.

وللأحلاف دور كبير في قوة القبيلة، فكانت إذا رأت نفسها دون الخصم الذي تقايله، انضمت إلى قبائل أخرى، وشكلوا حلفاً كبيراً، كما حالف بنو الحارث بن كعب: مذحج وهمدان وكندة، حتى شكّل هذا التحالف جيشاً لجباً لم تعهده القبائل العربية من قبل<sup>(8)</sup>.



(1) الألويسي — بلوغ الأرب : 144/1 ، سمط الآلي: 910.

(2) الأصفهاني — الأغاني: 89/6، ابن حجر — الإصابة: رقم الترجمة: (4041)، ابن حبيب — المحرر: 246، ابن

عساكر — تاريخ دمشق 388/6، نكت الحميان: 172.

(3) ابن حجر — الإصابة: 73/1، البغدادي — خزائن الأدب: 366/3.

(4) الأصفهاني — الأغاني: 69/15 وما بعدها، السيوطي — شرح شواهد المغني: 232، البغدادي — خزائن الأدب: 1/317.

(5) الأصفهاني — الأغاني: 2/13، الجاحظ — الحيوان: 95/2، ابن قتيبة — الشعر والشعراء: 369/1، 620/2.

(6) ابن هشام — السيرة النبوية: 143/1، 213، الفضليات: 705، الأصفهاني — الأغاني: 150/4 — 26/7 — 18

156/ — الطبري — تاريخه — (طبعة ليدان): 1138/1.

(7) الفضليات: 705.

(8) ابن عبد ربه: العقد الفريد: 78/6 وما بعدها.